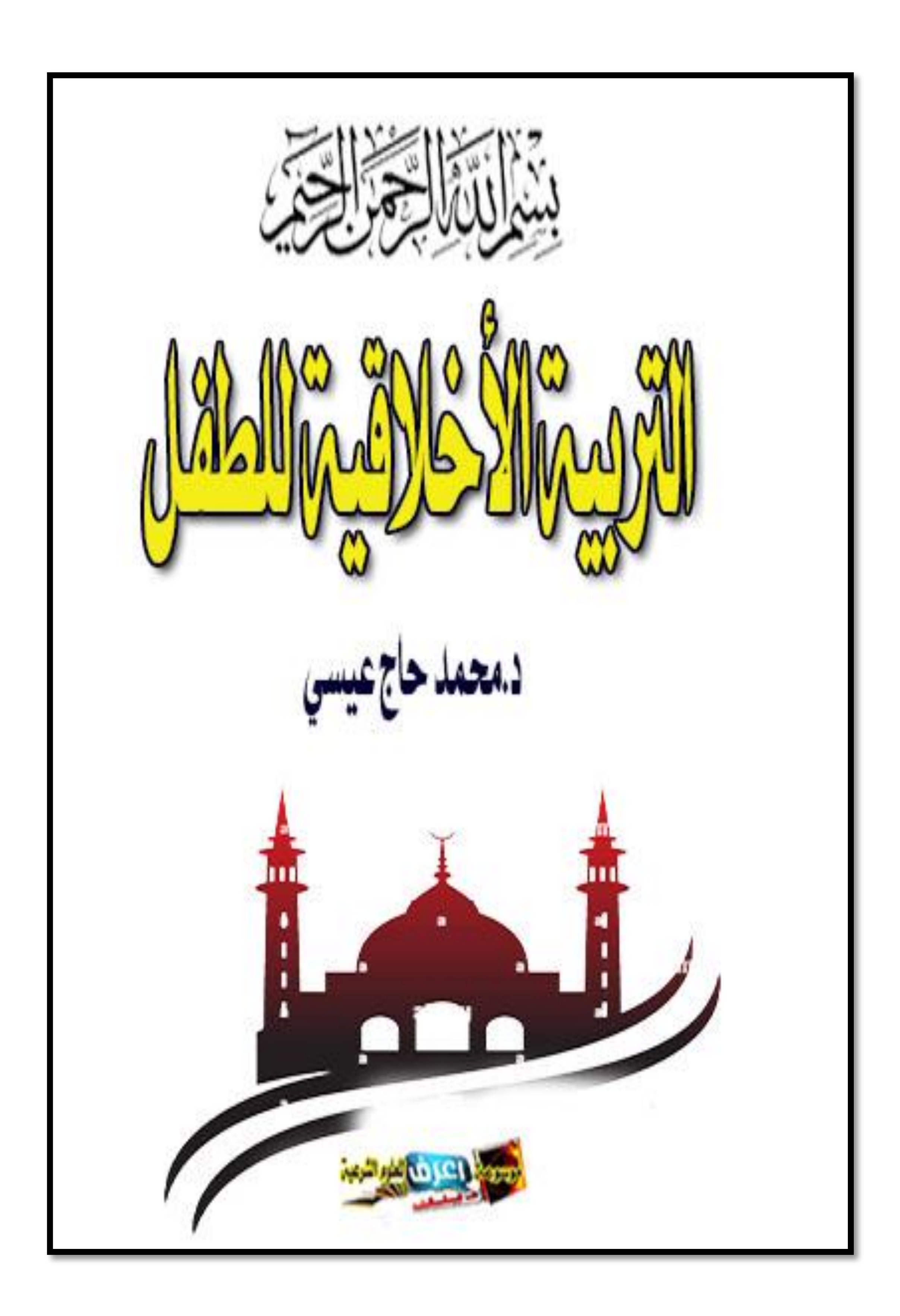

التربية الأخلاقية للطفل
د.محمد حاج عيسي
استاذ التعليم العالي في العلوم الإسلامية بالجزائر
الصدق
الأمانة
الصبر
التواضع
الحياء
العفة
الزهد والقناعة
النظافة
آداب الطعام


بسم الله الرحمن الرحيم
التربية الأخلاقية للطفل
د.محمد حاج عيسي



.الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

.وبعد:

يسر(موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية) نشر هذه االرسالة القيمة(التربية الأخلاقية للطفل) ،والتي اتحفنا بها الدكتور محمد حاج عيسي-حفظه الله- الأستاذ بجامعة تلمسان بالجزائر الشقيق –

وأطفالنا أمانة ثقيلة فهم مستقبلنا أن أحسنا من البداية علي تنشئتهم وتربيتهم علي أسس تربوية سليمة صحيًا ودينيًا وفكريًا وأخلاقيًا وغير ذلك.

، وفي الطريق أن شاء الله تنشر الموسوعة لفضيلته رسالة أخري عن التربية الفكرية للطفل لأهمية ذلك لأطفالنا ولكل اسرة مسلمة، فهم رجال وشباب المستقبل في القريب العاجل.

وقامت"موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية"بتنسيقها وعمل غلافة تليق بها ونشرها علي هيئة ملف PDFورفعها علي صفحات الموسوعة المختلفة بروابط مباشرة لمن شاء تحميلها.

لتكون له علمًا ينتفع به ولنا ولمن ساهم في نشرها لبيان أهمية العناية بأطفال الإسلام .
ونسأل الله تعالي القبول والإخلاص و الحمد لله رب العالمين.



مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية





من مضامين التربية الإسلامية الأساسية التربية الأخلاقية، حتى إن مفهوم التربية قد ينحصر عند بعض الناس في الجوانب الأخلاقية، فيحكمون على تربية المرء حسنا وسوءا من خلال أخلاقه فحسب، وتهذيب السلوك يعتبر من أهم المقاصد العامة للشريعة الإسلامية لقول النبي ﷺ: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» في رواية "مكارم الأخلاق"[١]، وإن لحسن الخلق منزلة عظيمة عند الله تعالى فقد أخبر النبي ﷺ أن "أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ" [٢]، وجعله صفة خيار المؤمنين فقال ﷺ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[٣]، وقال ﷺ:« إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»[٤].

والخلق هو سجية وهيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال من غير حاجة إلى فكر أو روية ، فإن كان ما يصدر عنها جميلا سميت هذه السجية خلقا حسنا، وإن كان ما يصدر عنها سيئا سميت خلقا سيئا [٥]، ويدخل في معنى الخلق كل سلوك يصدر من العبد في تعامله مع نفسه ومع الناس، في تعامله في نفسه كنظافته وهيئته وأدبه في الطعام والشراب والمشي، وفي تعامله مع الناس كالصدق والأمانة والتواضع وإفشاء السلام وغير ذلك. والأخلاق إنما تكتسب في الصغر ومدّة طفولة المرء، والطفل ينشأ على ما عوده عليه أبواه، لذلك ينبغي للولدين أن يعتنيا بهذا الجانب الاعتناء اللازم، وسنذكر فيما يأتي أهم هذه الأخلاق التي يجب أن يربى عليها الطفل.

---

[١]/ رواه أحمد ط الرسالة (١٤/ ٥١٣) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وصححه الألباني ، واللفظ الثاني رواه البزار (٣٦٤/١٥) والحاكم (٢/ ٦٧٠).

[٢]/ رواه أحمد ط الرسالة (٤٥/ ٥٣٧) وصححه ابن حبان (رقم :٤٨١).

[٣]/ رواه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وصححه.

[٤]/ رواه الترمذي (٢٠١٨) وصححه الألباني.

[٥]/ انظر التعريفات للجرجاني (١٠٤).

المبحث الأول : الصدق

إن الصدق هو إلتزام الحقيقة قولاً وعملاً[١]، وهو أصل هام من أصول الأخلاق الإسلامية ودعامة الفضائل ودليل الكمال وعنوان الرقي، وضده الكذب وهو رأس الرذائل وعلامة أهل النفاق.

وإن للصدق أثرا كبيرا في نفس المرء وفي محيطه، فالصدق يولّد في النفوس الطمأنينة والسكينة، بينما يورّثها الكذب القلق والاضطراب، والصدق يغرس الثقة بين الأفراد والجماعات، ويحتاجه الكبير والصغير والذكر والأنثى والحاكم والمحكوم والعالم والمتعلم، والصدق أيضا يبعد صاحبه عن الرياء في العبادات، والفسق في المعاملات، وإخلاف الوعد وشهادة الزور، وخيانة الأمانات[٢]، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩) وقد قال عمر ﷺ :« لا تجد المؤمن كذابا»[٣]، وقال سعد ﷺ:« كُلُّ الْخِلَالِ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ» وروي نحوه عن ابن مسعود[٤]، ومصداق ذلك في قوله عز وجل:﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل:١٠٥)

وقد حرص السلف على تنشئة أولادهم على مكارم الأخلاق وعلى الصدق على وجه الخصوص، ومن الوصايا الحكيمة المأثورة عنهم وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده قال:« عَلِّمْهُمُ الصِّدْقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ »[٥].

طرق تربية الأولاد على الصدق

أولا : القدوة

---

[١]/ كيف تربي ولدك لليلى بنت عبد الرحمن الجريبة (ص: ١٨).

[٢]/ كيف تربي ولدك لليلى بنت عبد الرحمن الجريبة (ص: ١٨).

[٣]/ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (رقم:٤٨٩).

[٤]/ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (رقم:٤٩٠، ٤٩١).

[٥]/ رواه ابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (رقم:٣٣٩).

من أهم طرق تلقين الأولاد خلق الصدق القدوة، فلا يُعقل أن يتربى الولد على الصدق وهو يرى أمّه تكذب على والده أو على الجيران، ولا هو يرى والده يأمره بالكذب على معلمه في المدرسة، ويراه يكذب عليه فيما يعده به، وقد قال النبي ﷺ: « مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ »[1]، فعلى المربي أن لا يعد الولد إلا بما هو عازم على الوفاء به وقادر عليه، وعليه أن يلزم الصدق في حديثه حتى وهو يمزح فيه وهو موضع يتساهل فيه كثير من الناس، وقد قيل للنبي ﷺ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا (أي تمزح معنا) فقَالَ:« إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » [2].

ثانيا : الترغيب في الصدق والترهيب من الكذب

من طرق تربية الأولاد على الصدق الترغيب فيه بما ورد من نصوص وكذا بالترهيب من ضده وهو الكذب، وقد بين النبي ﷺ أن الصدق طريق من طرق الجنة وأن الكذب طريق من طرق النار فقال:« إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عند الله كَذَّابًا»[3].

والله تعالى يحب الصادقين ووعدهم بالجزاء وقابل صفة الصدق بالنفاق فقال: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: ٢٤) وذلك أن الكذب من أخص صفات المنافقين كما قال النبي ﷺ :« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[4].

ويضم إلى ذلك الأحاديث الواردة في خطر اللسان وهي تشمل الكذب إذ هو أظهر آفاته.

ثالثا : القصص الهادف

ومن طرق تربية الأولاد على الصدق اعتماد القصص الهادف، وأول ذلك يؤخذ من سيرة المصطفى ﷺ الذي عرف بالصادق الأمين قبل البعثة فكان ذلك من أخص صفاته، وبعد السيرة تذكر آثار الصحابة والتابعين وهم أصدق الناس ، ومن الآثار الواردة في هذا قول عمر بْن عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كَذَبْتُ كَذْبَةً مُنْذُ شَدَدْتُ عَلَيَّ إِزَارِي»[5]. ثم قصص العلماء والصالحين ومن أشهر القصص المأثور في بيان فضيلة الصدق ما حكاه الشيخ عبد القادر الكيلاني ﵁ حيث

---

[1]/ رواه أحمد (١٥/٥٢٠) وصححه شعيب الأرناؤوط على شرط الشيخين.

[2]/ رواه الترمذي (رقم:١٩٩٠) وصححه الألباني.

[3]/ رواه البخاري (رقم:٦٠٩٤) ومسلم (رقم:٢٦٠٧).

[4]/ رواه البخاري (رقم:٣٤) ومسلم (رقم:٥٨).

[5]/ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت (رقم:٤٨٣).

قال :" بنيت أمري على الصدق وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتني أمي أربعين دينارا، وعاهدتني على الصدق، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة فمر واحد منهم، وقال ما معك قلت أربعون دينارا، فظن أني أهزأ به فتركني فرآني رجل آخر، فقال ما معك فأخبرته فأخذني إلى كبيرهم؛ فسألني فأخبرته فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فصاح ومزق ثيابه، وقال أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا خاف أن أخون عهد الله، ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعا ببركة الصدق[1].

رابعا : معالجة الأسباب التي تؤدي إلى الكذب

وفي سياق الحديث عن تربية الأولاد على الصدق ننبه المربين إلى ضرورة معالجة الأسباب التي نعلم أنها تدفع بأولادنا إلى الكذب.

ومن ذلك الخوف من العقاب، فعلينا أن نتجنب معاقبة الطفل إذا صدق واعترف بخطئه، مكافأة له على صدقه وتشجيعا له، وكذلك لأن الطفل ربما يتوهم أنه نال العقاب بسبب صدقه، وأنه لو كذب لسلم منه.

في هذا السياق نذكر أن كثرة التخويف والضرب المفرط، يعتبران من أعظم الأسباب النفسية التي تدفع الأولاد الصغار على استباحة الكذب واختلاق المعاذير.

ومن الأسباب الاستهانة الكذب إذا كان على سبيل الفكاهة والمزاح وإضحاك الجلساء، وقد جاء في الحديث :« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ، يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا» [2]، وسبق أن النبي ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا صدقا فلابد من تربية أولادنا على ذلك، ومحل الكذب هنا في اختلاق حوادث وقصص متعلقة بالواقع ، أما إذا لم تكن كذلك فلا بأس لأنها ليست كذبا والكذب الإخبار بخلاف الواقع .

ومما يهون الكذب تلك الكذبة التي يسمونها بيضاء وهي في الغالب في عالم الطفولة سوداء لا مصلحة فيها لا للأفراد ولا للأمة، وعلى رأس ذلك كذبة أفريل؛ التي يمكن اعتبارها عيدا سنويا لاستباحة الكذب وتدريب الأولاد على الكذب، كذب قد يضاف إليه ترويع الناس وإدخال الدهشة عليهم.

١/ نزهة المجالس ومنتخب النفائس لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (١/ ١٤٥).

٢/ رواه أحمد (١٥/ ١٢٠) وصححه ابن حبان (رقم:٥٧١٦).

المبحث الثاني : الأمانة

من الأخلاق المهمة التي ينبغي أن يُربى عليها النشء المسلم الأمانة؛ التي من معانيها الصدق وأداء الحقوق وحفظ الأسرار والوفاء، ومن أضدادها الغش والسرقة وإفشاء الأسرار والخيانة.

ولخلق الأمانة أثر عظيم في تكوين شخصية سوية وقوية للطفل، وفي بناء مجتمع مسلم آمن ومتماسك، وله أثر في حماية الأجيال من أن يكون فيهم عملاء خائنين لدينهم وأوطانهم وأهليهم.

وقد قال سيد المربين ﷺ وهو يحث على التزام هذا الخلق في كل حال :« أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»[1]، وقد بين ﷺ أعظم آثار الاتصاف بالأمانة رابطا لمعناها بمفهوم الإيمان فقال :« الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ »[2].

طرق تربية الأولاد على الأمانة

أولا : التعليم والوعظ

من طرق تربية الأولاد على الأمانة تحديثهم بمثل هذه الأحاديث التي تبين أهمية الأمانة وتحث عليها وترغب فيها، وتحفيظهم قول المولى عز وجل :﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (النساء:٥٨) وقوله تعالى في صفات المؤمنين المفلحين :﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٨).

ثانيا : الترهيب من الخيانة

من الطرق أيضا ترهيبهم من الخيانة وتضييع الأمانة، فقد نفى نبينا ﷺ الإيمان عن فاقد الأمانة وقال: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ » [3]، وجعل الخيانة من الصفات اللازمة للمنافقين حين قال ﷺ:« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[4]، كما أنه ﷺ جعل تضييع الأمانة من علامات قرب الساعة بقول النبي ﷺ: « فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا قَالَ إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ»[5].

---

[1]/ رواه الترمذي(١٢٦٤) وأبو داود (٣٥٣٥) وصححه الألباني.

[2]/ رواه النسائي (٤٩٩٥) والترمذي (٢٦٢٧) وصححه.

[3]/ رواه أحمد (٣٧٦/١٩) وصححه ابن حبان (١٩٤).

[4]/ رواه البخاري (رقم:٣٤) ومسلم (رقم:٥٨).

[5]/ رواه البخاري (رقم:٥٩).

وينبغي زجر الأولاد عن الغش بكل أنواعه، فيقال للولد إياك والغش في الامتحانات، ولا تكن كالبائع الغشاش والطبيب الغشاش والبناء الغشاش، لأن هؤلاء لا يفلحون أبدا وطريقهم قصير والفضيحة مصيرهم، وتقبح صورتهم بأن غشهم يحولهم إلى مجرمين في حق المجتمع، ومع كل ذلك يحفظون أن النبي ﷺ تبرأ من الغشاشين وقرنهم بمن يحمل السلاح ضد الأمة حين قال :« مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» [1].

ثالثا : القدوة والقصص

ومن أهم طرق تعليمهم الأمانة أن يكون المربي قدوة يظهر منه الحفاظ على ودائع الناس والحرص على أدائها، ورد الديون وما يستعار إلى أهله.

ومن الطرق أن نقص عليهم بعض القصص المرغب في أداء الأمانة المبين لفضل هذا الخلق وأثره كقصة أصحاب الغار التي قص علينا نبينا ﷺ، والتي جاء فيها: « قَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا فَجَاءَنِي فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ فَقُلْتُ اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذْ فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْ فَأَخَذَهُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللَّهُ»[2].

رابعا : التعويد

وإذا كان الطفل لا تودع عنده الأموال ولا الأشياء النفسية فإنه من غير شك يستعير من أصحابه في الدراسة أو الحي كتبا أو كراريس أو لعبا، فعلينا أن نعظم في نفسه هذه الأمانات وإن كانت قيمتها حقيرة، والطفل إذا عظم الأمانة اليسيرة الحقيرة كان لما سواها أشد تعظيما.

ولا ننس تحذير الأولاد مما يضاد ذلك من تضيع للأمانة أو جحدها ومن كل الخصال المنافية للأمانة وعلى رأسها السرقة التي هي كبيرة من كبائر الذنوب ومرض اجتماعي خطير، وذلك بتقبيحها وتقبيح أهلها، وذكر مفاسدها والعقوبة التي يستحقها مرتكبها وهي القطع في الدنيا والقصاص منه يوم القيامة.

المسؤولية والمنصب أمانة

من معاني الأمانة أمانة المسؤولية والمنصب، فعلينا أن تغرس في قلوب الناشئة منذ صغرهم تعظيم أمر المسؤولية حتى إذا كبر كان عنصرا خيرا مؤديا لواجبه في وظيفته وخيرا نافعا لنفسه ولأهله وللناس أجمعين، وعلينا أن نحفظ أولادنا قول النبي ﷺ: « أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ

[1]/ رواه مسلم (رقم:١٠١).

[2]/ رواه البخاري (رقم:٢٢١٥) ومسلم (رقم:٢٧٤٣) .

عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» [1].

ومن القصص المأثور والمؤثر في هذا الباب قصة عمر بن عبد العزيز مع أحد عماله لما جاءه ليلا فأشعل شمعة غليظة لتضيء المكان وأخذ يسأله عن أحوال المسلمين والبلاد وعن الفقراء وعن الأسعار وهل الناس تصلهم حقوقهم ؟ وهل هناك شكوى من أحد ؟ فأخذ يسأله عن كل كبيرة وصغيره والعامل يجيبه فلما فرغ قال العامل لعمر : يا أمير المؤمنين كيف حالك وحال عيالك وجميع أهلك ؟ فعند ذلك أطفأ عمر الشمعة الكبيرة وأشعل سراجا لا يكاد يضيء ثم التفت إليه وأجابه عما سأل ، ثم إن العامل تعجب مما صنع فسأله عن صنيعه فقال له عمر : «يا عبد الله إن الشمعة التي رأتني أطفأتها من مال المسلمين ، وكنت أسالك عن حوائجهم وأمرهم فكانت هذه الشمعة تنير بين يدي فيما يصلحهم وهي لهم، فلما صرت لشأني وأمر عيالي ونفسي أطفأت نار المسلمين »[2].

الأسرار أمانة

من معاني الأمانة حفظ الأسرار، سواء الأسرار الشخصية أو أسرار الأسرة أو الجماعة والأمة ، وقد قال النَّبِيّ ﷺ:« إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ»[3]، وتربية الطفل على هذا الخلق يسهم في تكوين إرادة واعية فاعلة لديه، لأن الطفل من طبعه محبة التكلم بما يملك من معارف أو إبراز ما لديه من معلومات، فعندما ندربه على حفظ الأسرار، فإننا ننمّي لديه سجايا أخرى، نحو قوة الإرادة وضبط النفس ورباطة الجأش، ولابد من تبصير الأولاد بأهمية حفظ الأسرار وأنها من ضمن الأمانة وأن يبصروا أيضا بخطر إفشاء الأسرار، وكما يجب علينا أن نمتحنهم في ذلك.

وإن هذا الأمر كان هذا من الأخلاق التي تربى عليها الجيل الإسلام الأول، ولنتأمل هذه القصة التي قصتها علينا أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين قَالَتْ :"أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ

[1] رواه البخاري (رقم:٨٩٣) ومسلم (رقم:١٨٢٩) .

[2] سيرة عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن عبد الحكم (١٣٧).

[3] رواه الترمذي (١٩٥٩) وأبو داود (٤٨٦٨) وصححه الألباني.

وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ، فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ» [١].

ومما ورد في هذا السياق هذا الخبر الذي حدثنا به خادم النبي ﷺ أَنَس بن مالك حيث قَالَ:" أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا ثم قَالَ أَنَسٌ لتلميذه ثابت البناني: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ [٢]. فلننظر إلى المنهج السليم والتربية القويمة التي رُبي عليها أبناء الصحابة ﷺ، ولنتأمل جيدا أن أم أنس فرحت بجواب ولدها، وأيدته وشجعته على حفظ السر، ولم يغلبها الفضول على أن تطلب منه إخبارها وأن تتودد إليه بأنها أمه وأقرب الناس إليه، وإنها لو فعلت ذلك لكانت مفسدة لتربية ولدها ولخلقه وداعية له لإفشاء الأسرار، كم يفعل الآباء نحو هذا الذي وصفت في زماننا هذا، ولنتأمل كيف حافظ على ذلك السر على مر السنين، ولم يحدث به لأنه لم يكن فيه علم أو فائدة متعلقة بغير النبي صلى الله وسلم بخلاف الخبر السابق الذي حدثت به فاطمة بنت النبي ﷺ بعد وفاته.



[١]/ رواه البخاري (٣٦٢٣) ومسلم (٢٤٥٠) .

[٢]/ رواه مسلم (٢٤٨٢) ورواه البخاري (٦٢٨٩) من طريق آخر بلفظ «أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرًّا، فَمَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَهُ، وَلَقَدْ سَأَلَتْنِي أُمُّ سُلَيْمٍ فَمَا أَخْبَرْتُهَا بِهِ».

المبحث الثالث : الصبر والتضحية

من الأخلاق المهمة التي ينبغي أن يتربى عليها أبناء الإسلام خلق الصبر، مفتاح الفرج وسلاح الحياة الذي لا تفنى ذخيرته ولا تنقطع الحاجة إليه، وإذا كانت مهمة المربي هي صناعة الأجيال، فإن مما يحرص عليه الصانع أن يجعل من صنعته دائمة النفع وأن يصونها من تسارع الفساد إليها؛ وإن مما يحمي الأجيال من الفساد والتفسخ والانحلال تربيتهم على خلق الصبر.

وهذا الخلق أكثر من ضروري للمرء في حياته ويحتاج إليه الطفل في أكثر من جانب.

١–فهو يحتاج إليه للقيام بواجب العبادة والثبات عليها، قال تعالى :﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِه﴾ (مريم:٦٥) وذكر العلماء من الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية.

٢–ويحتاج إلى الصبر في مواجهة الفتن –من ابتلاءات والشهوات –التي تعرض عليه وتغريه بالانحراف عن منهج الله تعالى، قال سبحانه :﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥)، وقال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ (الفرقان:٢٠)

٣–ويحتاج إلى الصبر لمواجهة صعاب الحياة ونوائب الدهر التي قدرها الله تعالى عليه، فقد يكون مريضا فيصبر على مرضه، وقد يكون فقيرا فيصبر على فقره، وإذا ابتلى بفقد أحبابه وأقاربه فلابد أن يصبر على فراقهم، وإذا ابتلى بظلم الناس وتعديهم، فلابد أن يصبر ويحتمل ليصد ويقاوم.

٤–ويحتاج الولد للصبر للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد عددناه من الأمور الأساسية في التربية العبادية، وكل من تصدى لهذا الواجب لابد أن يصبر على ما يصيبه في سبيل الله من ابتلاء، ولهذا قيل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى علم قبله وحلم معه وصبر بعده.

ولشدة الحاجة لهذا الخلق وملازمته لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نجده حاضرا في وصية لقمان الجامعة لابنه، حيث قال له :﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)

طرق تربية الأولاد على الصبر

أولا : الموعظة الحسنة

أول طريقة تستعمل في تربية الطفل على الصبر الوعظ والتذكير كلما دعت مناسبة إلى ذلك، ومما ينبغي أو يوعظ به في مطلق الأحوال :

–يا بني إن الدنيا مهما طالت قصيرة، وإن الآخرة دائمة لا نهاية لها، فاصبر على الطاعة ساعة تنل ثوابا غير منقطع.

-يا بني إن الله تعالى خلق الملائكة وكلّفهم بالعبادة ليلا ونهارا، ونحن لم يكلّفنا إلا بما نقدر عليه؛ فلِمَ نستكثر العبادة ونستثقلها ولا نثبت عليها.

-يا بني لا تكن عجولا، فإن النصر مع الصبر وإن الفرج يأتي بعد الشدة، وإن الله قال لنبيه ﷺ :﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ﴾ (الأحقاف:٣٥).

-يا بني لا معنى للجزع إذا حلّت بك المصائب ، فقد قال النبي ﷺلابن عباس رضي الله عنهما:« وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

-يا بني اعلم أن ما يصيبك إنما هو بما كسبت يداك، وأن هذه الدنيا دار الابتلاء والامتحان، قال الله تعالى :﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٢).

-يا بني لا تقل لو كان كذا لكان كذا ، ولكن قل "قدّر الله ما شاء فعل"[2] أو قل "إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها"[3] كما علمنا النبي ﷺ.

-يا بني كن حليما صبورا واعف عن الناس، وإن الله تعالى يقول:﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣) .

ثانيا : الترغيب

ومن الوسائل التي نستعملها لتنشئة الولد على خلق الصبر الترغيب فيه فيقال له:

-يا بني إن للصابر أجرا عظيما، وقد قال الله تعالى :﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر:١٠).

-يا بني إن الله يحب الصابرين، قال الله سبحانه :﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٦) ولا غاية أنبل للمرء في هذه الدنيا من أن يكون محبوبا عند الله تعالى.

-يا بني إن أدرت أن تنال تأييد الله تعالى وإعانته فتحلى بالصبر ، لأن الله ﷻ يقول :﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦)

---

[1]/ رواه الترمذي (٢٥١٦) وصححه.

[2]/ قال ﷺ :" وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»" رواه مسلم (رقم: ٢٦٦٤).

[3]/ قال ﷺ:"مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (البقرة: ١٥٦) اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا" رواه مسلم (رقم:٩١٨).

-يا بني لا يدخل الجنة إلا الصابرون، قال تعالى :﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (المؤمنون:١١١) وتقول لهم الملائكة : ﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٤).

والأحاديث في الترغيب في الصبر كثيرة جدا فينتقي منها ما يناسب الحال.

ثالثا : القدوة والتعويد

من وسائل تربية الولد على الصبر القدوة الصالحة، فعليك أيها المربي أن تجعل ولدك لا يرى منك جزعا لحطام الدنيا وسرعة التأثر لشهوات الدنيا.

ومنها التعويد ومن ذلك تعويده على الصوم وقد علمنا أن الصحابة كانوا يعودون أولادهم الصيام قبل أن يعقلوا.

ومن الصبر الذي يحصل بالعادة تعويدهم على بعض الخشونة في العيش، وتجنيبهم الرفاهية المفرطة التي تغرس الوهن في قلوبهم، وقد قال النبي :« الْبَذَاذَةَ مِنْ الْإِيمَانِ»[١]، وقال عمرﷺ «اخشوشنوا وتمعددوا وإياكم وزي العجم فإن النعم لا تدوم »[٢].

ومما يدخل في هذا المعنى تعمد تحميل الأولاد بعض المشاق عن طريق ممارسة أنواع الرياضات البدنية أو غيرها.

رابعا : القصص الهادف

من وسائل التربية على الصبر أيضا القصص الهادف، وذلك بأن يقص المربي على ولده قصص الصابرين التي تبين شدة تحملهم وأن العاقبة لهم، ومن ذلك قصة أيوب عليه السلام فقد ابتلاه المولى عز وجل في ولده وماله وجسمه فصبر ولم يشتك إلا الله واشتكى بأدب فلم ينسب الشر إلى الله تعالى، ولم يستعجل الإجابة، وقد عوضه الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، قال: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء:٨٣-٨٤) قال مسني أي مسا خفيفا ولم يعظّم الأمر مع أنّه ذهب ماله وولده وبلاءه في جسده كان سببا لهجران الناس له.

ومن القصص العظيم قصة أصحاب الأخدود وخاصة أن من أبطالها غلام صغير، ومنها قصة إبراهيم الذي أمر بذبح ولده فصبر وامتثل أمر ربه ، وولده الذي امتثل لأمر الله ووالده دون أي تردد.

ومن قصص النبي ﷺ ، أنه لما كذبه أهل الطائف وضربوه حتى أدموه جاءه ملك الجبال وقال:« يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ فَمَا

---

[١]/ رواه أبو داود (٤١٦١) وابن ماجة (٤١١٨) وصححه الألباني.

[٢]/ رواه أحمد (٤٣/١) وابن الجعد (٩٩٥) واللفظ له وصححه ابن حبان (٥٤٥٤).

شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [1].

من قصص الصحابة ﷺ قصة تعذيب عمار بن ياسر وأبيه وأمه سمية أول شهيدة في الإسلام ، وقصة ضرب مشركي قريش لأبي بكر قبل الهجرة، وقصة مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام وغيرها من القصص الكثير الذي يربي الأولاد على الصبر وتحمل المشاق وعلى التضحية وعلى تعظيم من يستحق التعظيم من الأنبياء عليهم السلام والصحابة وسلف هذه الأمة ﷺ.

وننبه في الختام أن بعض هذا القصص قد يكون مكتوبا بأسلوب ميسر يقبله الأطفال، وقد يكون صُوّر في أفلام ورسوم متحركة ، فلا نغفل عن استغلال ذلك وعن توجيه الأولاد فيما يقرأون وما يشاهدون إلى ما فيه صلاح عقائدهم وأخلاقهم.



---

[1] / رواه البخاري (رقم: ٣٢٣١) ومسلم (رقم:١٧٩٥).

المبحث الرابع : التواضع

من أهم مضامين التربية الأخلاقية : التربية على التواضع ولزوم خفض الجناح وعدم الترفع على عباد الله تعالى، ولقد كان من وصايا لقمان الجامعة الوصية بهذا الخلق العظيم، إذ قال تعالى :﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان:١٨). وقوله "لا تصعّر" و"لا تصاعر" أي لا تمل عنقك، وإمالة العنق أمام الناس من دلائل الكبر، وعلامة احتقار الناس، ثم قال: (وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً)، فنهاه عن مشية المرح وهي الاختيال وقلة المبالاة بالناس، وذلك من دلائل العجب والغرور والكبر، وكل ذلك يتنافى مع خلق التواضع.

ثم قال سبحانه:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾، أي أن الله تعالى يبغض المختال بأفعاله والفخور بكلامه، وإذا صرح بالنهي عن مظاهر التكبر بالحركات فمن باب أولى أن ينهاه التكبر بالكلام لأنه أعظم إيذاء.

وقد خُص خلق التواضع بالذكر من بين أخلاق كثيرة تتعلق معاملة الناس، لأن التواضع يعتبر سببا لخير كثير، كما أن الكبر رأس كل شر، وقد قال تعالى :﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣)، فجعل سبحانه الجنة لأهل التواضع؛ وذلك أنّ من معانيه التواضع للشرع والتواضع للحق، ولأن الكبر كان سببا للكفر وردّ الحقّ والانحراف عن منهج الله تعالى.

وقال النبي ﷺ أيضا: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ »[١]. وذلك أن الكبر يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين التي تقود إلى الجنة، إذ المستكبر يرى نفسه كاملة فلا يسعى إلى علاجها من آفاتها ولا إلى تحليتها بالفضائل، والمستكبر يحتقر الناس؛ فلا يرى لهم حقا ولا يعتقد لهم حرمة، فيستبيح أعراضهم وأموالهم ودماءهم، وكذلك المستكبر يرى أنه أولى من الناس بكلّ خير فيقع في الحسد، والمستكبر أيضا لا يسمع النصيحة ولا يقبل الحق من قائله، قال النبي ﷺ : « الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقّ(أي رده)، وَغَمْطُ النَّاسِ (أي احتقارهم)» [٢]. والمستكبر أناني يحب نفسه ولا ينفع غيره ولا ينفع أمته ودينه والنبي ﷺ يقول :« لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٣].

١/ رواه مسلم (رقم:٩١).

٢/ رواه مسلم (رقم:٩١).

٣/ رواه البخاري (رقم:١٣) ومسلم (رقم:٤٥).

طرق تربية الأولاد على التواضع

أولا : الوعظ والتذكير

أول طريق لتربية الولد على خلق التواضع: الإرشاد والوعظ والتذكير، ولا يشترط استحضار النصوص في ذلك، وليس كل الآباء حافظ لها أو مستحضر لها عندما تدعو الحاجة، ومن ذلك أن يقول المربي :

-يا بني إن التواضع خلق المسلمين، والكبر خصلة ذميمة لا يحبها الله تعالى ولا يحب أهلها.

-يا بني إن المتكبر إنما يتكبر بقوته وصحته أو جماله أو علمه وممتلكاته وماله، وهذه نعم الله تعالى وفضله يؤتيها من يشاء وينزعها ممن يشاء.

-يا بني إنه لا يحق لأحد أن يتكبر لأنه مهما رأى نفسه كاملا فهو ناقص، إن أصله من التراب ومصيره إلى تراب، وإنّه مخلوق من ماء مهين، وخُلق ضعيفا وأخرجه الله سبحانه من بطن أمه وهو جاهل لا يعلم شيئا.

-يا بني إن الكبر حمق ودناءة، وإنك إذا تكبرت فلن يزيدك ذلك رفعة عند الله تعالى ولا عند الناس، قال تعالى :﴿ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ (الإسراء:٣٧) .

ثانيا : التعويد والتكرار

ومن طرق تعليم الولد خلق التواضع تعويده على تصرفات تورثه ذلك؛ كمجالسة الفقراء وتلقينه العطف عليهم وعلى المرضى والزمنى، وتكليفه بأعمال تورث ذلك مثل كنس البيت أو الحي المجاور للبيت أو رعي الغنم إن أمكن ذلك، وكذا حمل المشتريات من السوق ولو كان فيها ثقل، ولا ننسى إجلاسه في حلق العلم؛ فثني الركب عند المعلم من أعظم ما يعلم التواضع، يروى مرفوعا ولعله من كلام بعض الصالحين :« مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ، وَرَكِبَ الْحِمَارُ بِالْأَسْوَاقِ، وَاعْتَقَلَ الشَّاةَ فَحَلَبَهَا »[1]. وفي رواية :«مِنَ كُنَّ فِيهِ أَرْبَعٌ فَهُوَ مِنَ الْمُتَوَاضِعِينَ مَنْ أَكَلَ مِعَ خَادِمِهِ وَعَقَلَ شَاتَهُ وَرَكِبَ الْحِمَارَ وَحَمَلَ مَا ابْتَاعَ مِنَ السُّوقِ» [2]

ثالثا : الترغيب في التواضع والترهيب من الكبر

ومن طرق التربية على خلق التواضع الترغيب فيه ، ومن ذلك أن يعلم الولد:

-أن أول صفات عباد الرحمن الصالحين التواضع، قال تعالى :﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ (الفرقان:٦٣).

---

[1]/ رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم:٥٥٠) مرفوعا وحسنه الألباني.

[2]/ رواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٢١٤) وقال وَهَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا الإِسْنَادِ بَاطِلٌ عَنِ الثَّوْرِيِّ وَيُشْبِهُ هَذَا الْمَتْنُ أَحَادِيثَ الصَّالِحِينَ.

-وأن التواضع أول صفة المؤمنين الذين يحبهم لله تعالى ويحبونه، قال تعالى :﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٥٤).

-وأن التواضع هو من يورث الرفعة في الدنيا والآخر لا الكبر، كما قَالَ النبي ﷺ : «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» [١].

ومن الطرق أيضا الترهيب من الكبر الذي هو نقيض التواضع وناقضه :

-فيذكر له قول المولى عز وجل في الحديث القدسي:« اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ [٢].

-ويكرر له ذكر قصة إبليس اللعين الذي كفر بسبب كبره، كما قال تعالى :﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (الأعراف:١٣).

رابعا : القدوة

من طرق التربية على التواضع أن يرى الولد هذا الخلق في والديه، في كلامهم ولباسهم وحركاتهم، ولذلك فليحذر الآباء كل الحذر من أن يرى منهم أولادهم شيئا من التكبر على خلق الله تعالى، أو التنقص منهم لشيء من صفاتهم الخلقية، أو أحوالهم الصحية أو الاجتماعية، وليحذر الآباء من أن يرى منهم أولادهم احتقار بعض الناس سواء بسبب لونهم أو جنسهم أو لغتهم أو مكان سكناهم أو حرفتهم، فإن ذلك من القدوة السيئة وسوء التربية.

خامسا : القصص

من طرق التربية على القدوة القصص ، وأول ما يفيد في ذلك الروايات التي تبين تواضع النبي ﷺ وهو سيد الخلق أجمعين، ولقد كان ذلك من أظهر الأخلاق في سيرته العطرة، فإنه كان يسلم على الصبيان ويداعبهم، ويأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم، ويأكل على الأرض ويركب الحمار ويمشي في الأسواق ويخالط العبيد والمساكين، ونهى ﷺ عن المبالغة في مدحه وإطرائه، وقال قولوا عبد الله ورسوله وزجر من قال له سيدنا.

ومن القصص قصص الصحابة ﷺ، وأولهم أبو بكر الصديق ﷺ فقد كان يحلب لبعض الأيتام أغنامهم، فلمّا استخلف قالت جارية منهم الآن لا يحلبها، فقال أبو بكر بل وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن شيء كنت أفعله، وسبب فعله ذلك أن العرب كانت تستقبح من النساء أن تحلب فإذا غاب الرجال احتاج النساء إلى من يحلب لهن .

---

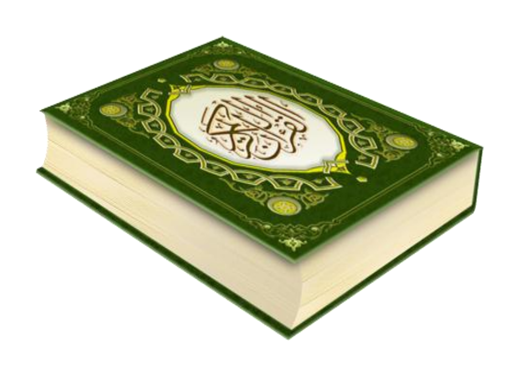
[١]/ رواه مسلم (رقم:٢٥٨٨).

[٢]/ رواه مسلم (رقم:٢٦٢٠) وأبو داود (رقم:٤٠٩٠) واللفظ له.

ومن ذلك قصة عمر ﷺ فقد رآه بعض التابعين حاملا قربة ماء، فقال يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال عمر ﷺ :"لما أتاني الوفود سامعين طائعين دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرها"[1].

وكان ﷺ يلبس ثوبا مرقعا وهو خليفة المسلمين، وكان يتعاهد الأرامل يستقي لهن الماء بالليل ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة فدخل إليها طلحة نهارا فإذا هي عجوز عمياء مقعدة فسألها ما يصنع هذا الرجل عندك قالت هذا مذ كذا وكذا يتعاهدني يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة:" ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع"[2].

ومما يروى أيضا قول مجاهد صحبت ابن عمر رضي الله عنهما في السفر لأخدمه فكان يخدمني، وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم في السفر[3].



[1]/ في الرسالة القشيرية (٢٧٩) وغيرها أنه عروة بن الزبير لكنه لم يدركه.

[2]/ حلية الأولياء (١/ ٤٧).

[3]/ جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٥).

المبحث الخامس : الحياء

من أهم الأخلاق التي علينا أن نربي عليها أولادنا خلق الحياء، وقد ختم لقمان الحكيم وصيته الجامعة بما يدل عليه من خلال لوازمه حيث قال :﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٩) والقصد هو الوسط والعدل بين الطرفين، والغض هو الانقاص من قوة الشيء، المعنى كن معتدلا في مشيك وفي صوتك، كن معتدلا في هيئتك وأفعالك وأقوالك، فإن ذلك هو الخلق الحسن، وهذه المعاني تنطوي على معنى الحياء، إذ هو الباعث للإنسان أن يعتدل في مشيته وهيئته والباعث له إلى خفض صوته.

وحقيقة الحياء "انقباض النفس من شيء وتركه حذرا عن اللوم أو خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في ذي الحق"[١]، وقيل هو "ملكة راسخة للنفس توزعها تدفعها على إيفاء الحقوق وترك القطيعة والعقوق"[٢]

أهمية خلق الحياء

إن خلق الحياء يعتبر ركيزة من ركائز الأخلاق الإسلامية، وقد جاء في الحديث: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » [٣]. ومعناه شامل للحياء من الله تعالى وللحياء من الناس ، فأما الحياء من الله تعالى فهو عبادة من العبادات القلبية تمنع من معصيته وتحث على التوبة والاعتذار منه، وأما الحياء من الناس فهو يمنع من الظلم والرذائل وكل قبيح، ويحث على الإحسان والخير. وقد قيل في تعريف الحياء إنه "خلق يبعث على ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق، ويمنع صاحبه من التقصير في حق ذي الحق". وقد اعتبره النبي ﷺ من الإيمان حيث مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺدَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنْ الْإِيمَانِ»[٤]، وقال في حديث آخر:« الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[٥].

طرق تربية الأولاد على خلق الحياء

أولا : الموعظة الحسنة

من طرق تربية الأولاد على الحياء أمرهم به وتذكيرهم بأهميته وأنه خلق المسلمين، وعلى المربي أن يعلم هو أولا بأن الحياء من الأخلاق التي فطر عليه الإنسان فهو إذ يعظ أولاده لا يعلمهم شيئا غريبا عنهم وإنما يدعم الفطرة السليمة ويثبتها وينميها، وليذكر الأولاد بأن هذا الخلق كان ثابتا عند

١/ التعريفات للجرجاني (٩٤) مفردات القرآن (١٤٠).

٢/ دليل الفالحين (١٥٨/٣).

٣/ رواه ابن ماجة (٤١٨١) وحسنه الألباني.

٤/ رواه البخاري (٢٤) ومسلم (٣٦).

٥/ رواه البخاري (رقم:٩) ومسلم (رقم:٣٥).

العرب حتى في جاهليتهم، كما تدل عليه قصة أبي سفيان مع هرقل وقد كان يومها كافرا ، حيث قال :« فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا علي كذبا لكذبت » أي لكذب على النبي ﷺ لما سأله هرقل عن أحواله ولكنه لم يفعل ذلك وما منعه إلا الحياء من الناس.

ثانيا : الترغيب والترهيب

ومن طرق تربية الأولاد على الحياء الترغيب فيه ببيان فضائله وذكر الأحاديث المرغبة فيه كقول النبي ﷺ « الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ »[١]. ويروى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:« إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ عَشَرَةٌ: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَصِدْقُ الْبَأْسِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ، وَمُكَافَأَةُ الصَّنِيعِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالتَّذَمُّمُ لِلْجَارِ، وَالتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ، وَقِرَى الضَّيْفِ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ»[٢] والتذمم للجار والصديق معناه أن يحفظ ذمامه أي حرمته[٣].

ويربى النشء على الحياء بترهيبه من ضده ، وأن من نزع منه الحياء استباح كل شيء وقد قال النبي ﷺ:« إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[٤]. لأن مآله عدم الحياء من الله تعالى كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه:« مَنْ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ، لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ» [٥]. ومن لا يستحيي من ربه وخالقه والمنع عليه فلا إيمان له، وقد قال ابن عمر :« إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»[٦].

وإن أعظم عقوبة لترك الحياء هي موت القلب، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:« مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ»[٧]، وقال ابن القيم رحمه الله :« الحياء من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم»[٨].

ثالثا : القدوة

من أهم طرق تربية البنين والبنات على الحياء أن يرى في حياتهم اليومية في سلوك الوالد والوالدة ؛ أن يرى في لسانهما وما يتلفظان به، في تصرفاتهما وتعاملهما مع الناس، وفي لباسهما ويرتديانه،

١/ رواه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧).

٢/ مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (رقم:٣٦) روي مرفوعا عند البيهقي في الشعب (١٦٢/١٠) قال البيهقي (١٠/ ١٦٢):"وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ ضَعِيفٍ مَوْقُوفًا عَلَى عَائِشَةَ وَهُوَ بِهِ أَشْبَهُ".

٣/ السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير (٤/ ٢٣٦).

٤/ رواه البخاري (رقم:٣٤٨٣).

٥/ رواه عبد الرزاق (٣/ ٢٣٢) وابن أبي شيبة – ترقيم عوامة (٢/ ١٣٤).

٦/ رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم:١٣١٣) وصححه الألباني.

٧/ رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (رقم: ٩٣).

٨/ مدارج السالكين (١٩٩/٢).

فلا يسمعون منهما كلاما بذيئا خادشا ولا سبا فاحشا، ولا يرون منهم رعونة ولا وقاحة، ولا تكشفا ولا نظرا في الصور العارية وشبه العارية.

رابعا : التعويد عليه والتحذير من نواقضه

ومن طرق التربية على الحياء تعويد الأولاد ذكورا وإناثا على ستر عوراتهم منذ نعومة أظفارهم قبل سن تمييزهم، ولا يقتصر في الستر على العورة الواجبة فقهيا في تلك السن، لأنه مفهوم الحياء يشملها ويزيد عليها، ومن الأمور المرتبطة بالحياء والحاصلة بالتعويد تربية البنات على الحجاب قبل سن البلوغ؛ حتى إذا بلغت تحجبت الحجاب الشرعي الكامل، وكذا تعويدهم على خفض الصوت حين الكلام وعلى خفض البصر احتراما لكل من هو أكبر منهم.

ومما نلحقه بمعنى التعويد تحذير الأولاد وعدم تمكينهم من مشاهدة المناظر التي تخدش في الحياء؛ سواء كان ذلك في الشارع أو التلفاز أو الأنترنت، وأن نحذرهم من اختلاط الجنسين، ومن الذهاب إلى أماكن العري والفساد، ولا ننسى أعظم شيء مذهب للحياء في عصرنا بعد اللباس الفاضح وهو سماع الغناء الماجن، فلا أذهب للحياء ولا أفسد للأخلاق منه.

خامسا : القصص الهادف

ومن طرق التربية على الحياء القصص الهادف، وأول ذلك قصص قدوة الخلق وسيد العالمين ﷺ الذي كان "أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَإِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ" كما قال أبو سعيد [1]. والذي قال عن عثمان:« أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ »[2].

ومن أشهر الحوادث الدالة على حيائه ﷺ أنه لَمَّا تَزَوَّجَ زَيْنَبَ أمر أَنَسًا أن يدعو من يلقى من الْمُسْلِمِينَ ليطعموا عند رسول الله ﷺ، فَجَعَلُوا يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، وكان النَّبِيُّ ﷺ وضع يَدَهُ عَلَى الطَّعَامِ فَدَعَا ليبارك فيه، وَبَقِيَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَطَالُوا عَلَيْهِ الْحَدِيثَ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ شَيْئًا فَخَرَجَ وَتَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) (الأحزاب:٥٣) [3]. وهذا الخلق هو خلق الأنبياء جميعا كما هو جلي في حديث الشفاعة حيث يذهب الناس إلى الأنبياء واحدا واحدا؛ فيعتذر كل واحد منهم بالحياء من الله عز وجل.

---

[1]/ رواه البخاري (رقم:٦١٠٢) ومسلم (رقم: ٢٣٢٠).

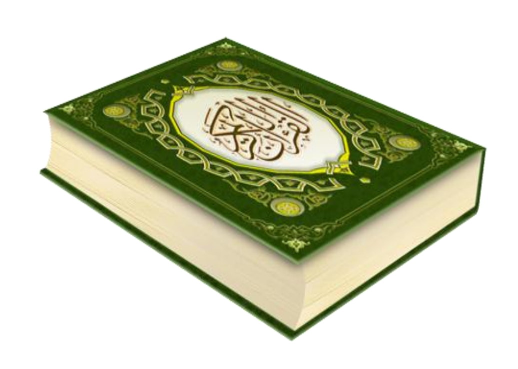
[2]/ رواه مسلم (رقم:٢٤٠١).

[3]/ رواه مسلم (رقم:١٤٢٨).

ومن قصص الصحابة ﭫ قصص عثمان ﭬ ومن ذلك أنه ذُكِرَ عُثْمَانُ وَشِدَّةُ حَيَائِهِ عند الحسن البصري فَقَالَ: «إِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ وَالْبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ، فَمَا يَضَعُ عَنْهُ الثَّوْبَ لِيُفِيضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يُقِيمَ صُلْبَهُ»[1].

وقصة عائشة ﭫ التي كانت تقول: :«كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلَّا وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ »[2]

ومن قصص التابعين قصة الأسود بن يزيد حيث بكى وهو يحتضر، فقيل له ما هذا الجزع ؟ قال: « مَا لِي لَا أَجْزَعُ؟ وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي؟ وَاللهِ لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُهُ، إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرُ فَيَعْفُو عَنْهُ فَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيِيًا مِنْهُ» [3].



[1]/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٥٦).

[2]/ رواه أحمد (٤٢/ ٤٤١) وصححه الألباني في المشكاة (١/٣٩٨).

[3]/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ١٠٣).

المبحث السادس : العفة

من أهم عناصر التربية الأخلاقية التربية على العفة، والعفة تطلق على معنى : "الكف عن مقتضى الشهوات"[1]، أو "الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق"[2]، وهو معنى واسع تدخل فيه خصال كثيرة؛ ولذلك نجد الماوردي قد قسم العفة إلى عفة عن المحارم وعفة عن المآثم، ثم قسم العفة عن المحارم إلى نوعين أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، الثاني كف اللسان عن الأعراض، وقسم العفة عن المآثم أيضا إلى نوعين: الأول الكف عن المجاهرة بالظلم ، والثاني زجر النفس عن الإسرار بخيانة[3].

والذي نريد أن نتحدث عنه هنا يتعلق بشهوة خاصة، وهو أحد تلك الأنواع والذي حده بضبط الفرج عن الحرام، الذي قد يخص بلفظ العفة كما يسمى أيضا طهرا وشرفا وفضيلة.

وإن النشء إذا تربى على العفة سواء بالمعنى العام أو الخاص؛ فإنه يحقق المروءة التي ينال بها الحمد في الدنيا والثواب الآخرة، ويرتقي بها في سماء الفضيلة، ويبتعد عن حضيض الرذيلة، بل إنه يحقق بذلك أسباب الفلاح ويستحق وصف الإيمان وقد قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكر من جملة صفاتهم ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون:٥-٧).

ولا ينبغي أن يستهان بخلق العفة الذي هو ثمرة خصال وأخلاق أخرى متعددة، وأثره في شخصية النشء عميق جدا؛ فهو يكسب النشء قوة القلب، ووفرة العقل، ونزاهة النفس وعزتها، وانشراح الصدر وقلة الهم والغم، كما أن انتشار هذا الخلق في المجتمع يطهره من أصناف من الفساد، كما يرفع عنه ألوانا من العقوبات الربانية، وينمي فيه روح الغيرة على الأعراض التي تعتبر سياجا منيعا يحميه من التردي في مهاوي الرذائل والفواحش والدياثة والتخنث والتبرج والتعري.

طرق تربية الأولاد على العفة

أولا : التربية الإيمانية

إن خلق العفة كما أشرنا من قبل له معنى واسع وتثمره خصال أخرى، وهذه الخصال بعضها من نتاج التربية الإيمانية لذلك فإن أول وسائل تربية النشء على العفة التركيز على التربية الإيمانية الصحيحة، التي تقوي صلته بالله رب العالمين، وعلى رأسها صفة الرقابة وأن يعلَّم أن الله تعالى يراه في كل وقت وحيثما كان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ

---

[1]/ إحياء علوم الدين (٤/ ١٥٨).

[2]/ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٨٠٨).

[3]/ أدب الدنيا والدين (٣٢١، ٣٢٤).

وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام:٣)، وقال سبحانه : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر:١٩) وقد فسر ابن عباس (خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) بقوله :« الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ فَتَمُرُّ بِهِمُ المرأة فَيُرِيهِمْ أَنَّهُ يَغُضُّ بَصَرَهُ، عَنْهَا وَإِذَا غَفِلُوا لَحَظَ إِلَيْهَا وَإِذَا نَظَرُوا غَضَّ بَصَرَهُ، عَنْهَا، وَقَدِ اطَّلَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ وَدَّ أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى عَوْرَتِهَا»[1]. وإن إحساس قلب المرء برقابة الله تعالى يقمع شهوته ويكفه عن كل ما يخدش في العفة والطهارة؛ وذلك حياء من الله تعالى أو خوفا منه، وقد قال يوسف عليه السلام لما دعي إلى الفاحشة ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ (يوسف:٢٣).

وإن التربية الإيمانية الصحيحة تجعل المرء يحول معتقده في أسماء الله وصفاته إلى معاني عملية في حياته، فيعلم أن السميع يسمع كلماته، أن البصير يُبصر حركاته، كما قال الربيع بين خثيم رحمه الله:« إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى:﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)»[2].

ثانيا : تنمية القيم الخلقية

من وسائل التربية على العفة–بالمعنى العام أو الخاص– تنمية القيم الخلقية في قلوب الناشئة، وذلك أن مفهوم العفة الذي نتحدث عنه إذا تأملناه وجدناه ثمرة ناتجة عن اجتماع عدد من الأخلاق الرفيعة، إذ فيه معنى الصبر وكبح جماح الشهوة، ونجد فيه معنى الحياء من الله ومن خلقه، ونجد فيه معنى الأمانة وعدم الخيانة وقد سبق الحديث عن طرق اكتسابها، كما نجد في مفهوم العفة معاني المروءة والشهامة والغيرة، وهي خصال تحصل بالتلقين والقدوة كما تحصل بتمكين الولد من مطالعة كتب الأدب العربي، لأنه سيجد فيها من أخلاق العرب ما يحمله عليها ويوقد في نفسه جذوة الاعتزاز بها، ومن ذلك أنه يجد في باب الغيرة على الأعراض المثل القائل: "كل ذات صِدار خالة"[3] والذي معناه أن كل امرأة هي في حكم الخالة، يَحميها كما يحمي خالَته، والصدار: ثوب لا كُمين له تتبذل فيه المرأة في بيتها، ويقرأ في هذه الكتب نحو قول عنترة بن شداد في غض البصر:

وأغضّ طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها[4].

وغيرها من الآثار والمواقف التي يكون لها وقعها في نفس كل قارئ وشخصيته.

ثالثا : اتباع الوسائل تحد من الشهوة

---

[1] / تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٥).

[2] / صفة الصفوة (٢/ ٣٩).

[3] / العقد الفريد (٣/ ٣٠).

[4] / العقد الفريد (٦/ ٣).

من وسائل التربية على العفة بالمعنى الخاص اتباع الوسائل التي تحد من الشهوة وتدفع الفتنة، ومن ذلك تربية الأطفال على ستر عوراتهم منذ نعومة أظفارهم وتعظيم أمر كشفها في أنفسهم حتى يتربوا على الحياء والحشمة.

ومما له ارتباط بالتربية على الحياء، التفرقة بين البنين والبنات في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين، وهذا بأمر من النبي ﷺ الذي قال:« مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[١].

ومن وسائل دفع الفتنة أن نصونهم عن اختلاط الجنسين وأن نبعدهم قدر الاستطاعة عن مواطن اختلاط الرجال بالنساء؛ لأن هذا الاختلاط مما يؤجج نار الشهوة والفتنة في سن مبكر؛ ونحن نعيش في مجتمعات –وبأنماط حياة– لا يتمكن الناس جميعهم فيها من الزواج، وتحصين أنفسهم عند البلوغ وفي مرحلة الشباب.

ومن الوسائل التي تحد من سلطان الشهوة تربية الأولاد على غض البصر عن الحرام ونحفظهم ذكورا وإناثا قول المولى عز وجل :﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (النور: ٣١). ولابد أن نتذكر أنه إذا نزل هذا الأمر في تلك البيئة التي لم يكن فيها هذا التعري الذي نراه ولا كان فيها هذه الصور الثابتة والمتحركة التي ترى في الشوارع والقنوات والهواتف والأنترنت، فإننا مدعوون اليوم إلى ما هو أشد صرامة من مجرد الأمر والزجر وهو المراقبة .

ومما له صلة بغض البصر تعليم الأولاد أدب الاستئذان في الدخول إلى البيوت والتسليم على أهلها ، والاستئذان في الدخول إلى الغرف داخل البيوت، ولو لم يكن في البيت إلا المحارم، وقد قال رجل لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا"[٢]. وإذا كانت النصوص تتحدث عن الاستئذان عند دخول البيوت فإن ذلك يشمل كل مكان أو محل مغلق بدلالة تنبيه والفحوى.

ومن وسائل الحد من الشهوة ودفع الفتنة حث الأولاد –بعد سن البلوغ–إذا لم يتيسر لهم الزواج على الإكثار من الصيام، وقد دلنا على ذلك نبينا ﷺ بعبارة صريحة حين قال:« يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[٣].

رابعا : اختيار الصحبة الصالحة

١/ رواه أبو داود (٤١٨).

٢/ مكارم الأخلاق للخرائطي (رقم:٧٩٤).

٣/ رواه البخاري (رقم:١٩٠٥) ومسلم (رقم:١٤٠٠).

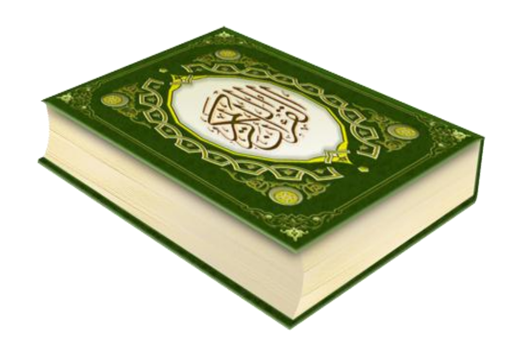
من الوسائل المهمة للتربية على العفة اختيار الصحبة الصالحة للأولاد ذكورا وإناثا، فإن الصحبة الصالحة تعينهم على التحلي بالفضائل وتجنب الرذائل، وعلى التزام غض البصر وما هو أكثر من ذلك، وإن من لم يستحي من الله تعالى لغفلته فربما سيستحي من أصحابه الذين هم حوله، والذين يذكرونه إذا نسي ويعينونه إذا تذكر. على الخلاف من ذلك فإن اتخذ صحبه فاسدة فإنها هي من ستكون حتما سبب هلاكه وجره إلى مهاوي الرذيلة والفسق.

خامسا : توعية الأولاد بأهمية العفة

من وسائل التربية على العفة توعية الأولاد بأهميتها وذلك ببيان فضائلها وآثارها ومنها ما ذكرناه في أول المبحث، ويركز على قضية الراحة النفسية التي يكتسبها من عاش عفيفا نزيها طاهرا كما قال تعالى :﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧) في مقابل العذاب النفسي الذي يعيشه كل من تنكب طريقها وأعرض عن أسبابها، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه:١٢٤).

سادسا : الاعتناء الخاص بالفتاة

ويؤكد في الأخير على ضرورة العناية الخاصة بالفتاة في هذا الباب، فلابد أن تتربى على تعظيم شأن عورتها وقبح إبدائها، ويُعظَّم ذلك في نفسها؛ حتى يصبح مجرَّد انكشاف العورة ولو في حال الخلوة ممقوتاً في حسَّها، ولا بد أن تعلم أن أنوثتها موضع فتنة اجتماعية خطيرة؛ حتى أن الله تعالى قدَّمها على جميع الشهوات حين قال عز وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ ولذلك فرض عليها الحجاب صيانة لعرضها شرفها وحماية للمجتمع من الفتنة التي إن انتشرت فيه فتكت به، وقد قال النبي ﷺ :« مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ»[1].



[1]/ رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠).

المبحث السابع : الزهد والقناعة

من الأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها أبناء الإسلام الزهد والقناعة، الزهد بمعناه الخاص يراد به "خلو القلب مما خلت منه اليد، وترك الترف والإسراف في المباحات"، والقناعة تعني "الرضا بما قسم الله والاقتصار على الكفاف وما سنح من العيش"[١]، فهما متقاربان في المعنى، وقد تسمى القناعة تعففا كما قال تعالى في حق الفقراء الذين لا يمدون أيديهم إلى الناس:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٧٣) وضدهما الطمع والتطلع إلى ما في أيدي الناس، وحب الدنيا والتكاثر فيها التوسع في ملاذها وشهواتها.

وتربية الأولاد على الزهد والقناعة أمر مهم جدا، إذا أردنا أن ينشأ أولادنا على طاعة الله ورسوله وعلى الاستقامة والأخلاق الحسنة، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب عظيم من أسباب الانحراف عن الفطرة، فإن سعة الأطماع تفسد الطباع وتطعن في المروءة.

وننبه في صدر هذا البحث أنه الزهد لا يعني الخروج من الدنيا بالكلية –كما قد يصوره بعض الناس المتصنعين–، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص:٧٧) ونحن مأمورون باتباع الفطرة السوية كما لا يجوز الخروج عليها بالإفراط لا يجوز الخروج عليها بالتفريط أيضا.

طرق تربية الأولاد على الزهد والقناعة

أولا : التذكير بحقيقة الغني وغاية وجود المال

أول ما يجب على المربي تجاه أولاده أن يبين لهم حقيقة الغنى التي يجهلها كثير من الناس، كما بينها نبينا ﷺ:« لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[٢]، فثمرة الغنى عدم طلب المزيد ، وذلك يحصل لمن استغنت نفسه وإلا ففي الناس ما يملك أضعاف ما يكفيه ولكنه دائما يشعر بالحاجة ويطلب المزيد، وهذا رغم كل ما يملك ليس غنيا لأنه لم يصل إلى حقيقة الغنى وثمرته، وفي معنى ذلك قول عمر بن الخطاب‬ﷺ:« تَعْلَمُونَ أَنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ، وَأَنَّ الْإِيَاسَ غِنًى، وَإِنَّهُ مَنْ أَيِسَ مِمَّا عِنْدَ النَّاسِ اسْتَغْنَى عَنْهُمْ»[٣]، فالغني الحقيقي هو غنى النفس والقناعة كنز لا يفنى، وقد قيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال:" قلّة تمنيك ورضاك بما يكفيك"[٤].

١/ الموسوعة الأم في تربية الأولاد لأحمد مصطفى متولي (١/٧٠٦-٧٠٧).

٢/ رواه البخاري (رقم:٦٤٤٦) ومسلم (رقم:١٠٥١).

٣/ الزهد والرقائق لابن المبارك (رقم: ٦٣١).

٤/ إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).

وعلينا أن نغرس في قلوب الأولاد أن مال الدنيا ومتاعها وسيلة وليس غاية، إذ الغاية هي رضا الله تعالى ودخول الجنة، وعلينا أن نحذرهم من أن تشغلهم الوسيلة عن الغاية، وقد قال ﷺ :« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»[١]. وعليما نذكر أنفسنا وإياهم دائما بقوله ﷺ :« يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[٢]، وقوله ﷺ :« يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ »[٣].

ثانيا : الترغيب

من أهم طرق تربية الأولاد على هذين الخلقين ترغيبهم بما رغبنا به نبينا ﷺ، وما أكثر الأحاديث الواردة في القناعة والزهد؟ ومن ذلك أن نبينا ﷺ جعل القناعة من أعظم أسباب الفلاح بعد الإسلام فقال:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ »[٤]، وجعل القناعة أيضا موجبة لأعلى مراتب شكر نعم الله تعالى فقال ﷺ :« يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ وَكُنْ قَنِعًا تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحْسِنْ جِوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا وَأَقِلَّ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ »[٥].

ومن أعظم الأحاديث المرغبة في الزهد في الدنيا حديث ابن عمر قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ:« كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[٦]، ومعنى الحديث لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها بمالا يتعلق به الغريب في غير وطنه بل أكثر من ذلك كن كعابر السبيل الذي يتخفف من الأحمال لعدم استقراره. ومنها قوله ﷺ:« مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[٧]. فمن فضائل الزهد والقناعة تحصيل راحة النفس وطمأنينتها وهذا معنى :« جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ»، وقد قيل في تفسير قوله تعالى :﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧) بأنها حياة القناعة، قال ابن

---

[١] رواه أحمد (٢٣٧/٣٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم:١٦٣٩).

[٢] رواه البخاري (رقم:٦٥١٤) ومسلم (رقم:٢٩٦٠).

[٣] رواه مسلم (رقم:٢٩٥٨).

[٤] رواه مسلم (رقم:١٠٥٤).

[٥] رواه ابن ماجة (رقم:٤٢١٧) وصححه الألباني.

[٦] رواه البخاري (رقم:٦٤١٦).

[٧] رواه الترمذي (رقم:٢٤٦٥) وصححه الألباني.

عقيل:« لو علِمتَ قدر الراحة في القناعة والعز الذي في مدارجها علمت أنها العيشة الطيبة»[1].

وقد قيل:« ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ» [2].

ثالثا : الترهيب

من طرق التربية على هذه الخلقين الترهيب من الطمع والاسراف ، وقد قال النبي ﷺ :« أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ »[3]. والمعنى أنها مبغوضة، ومبغوض كل ما يصد عن سبيل الله مما هو موجود فيها. وقد دعا نبينا ﷺ بالتعاسة وهو دعاء بالشر والتعثر والشقاء لمن جعل الدنيا مطلبه حتى كأنه يعبدها فقال: تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ »[4]، وننبه أن المدعو عليه هنا هو عبد الدينار لا مالكه، لأن مالك الدينار يجعله خادما له، وأما عبد الدينار فهو خادمه حرصا على جمعه وحفظه.

رابعا : القدوة والتعويد

من طرق تعويد أولادنا على القناعة صفة معيشتنا من حيث المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمركب، ومن كان موسرا منا عليه أن يحاول الانتقال بالأولاد من حياة اليسر والدعة إلى غيرها بين الفينة والأخرى؛ وذلك بالخروج بهم إلى الأرياف والبوادي والصحاري والأماكن النائية، حتى يتعود الأولاد على بعض الخشونة وشظف العيش، وعساهم أن ينظروا إلى حال الناس هناك وقساوة معيشتهم؛ فيشكروا نعمة الله تعالى عليهم، مع ما في ذلك من الترويح على نفوسهم. وليجعل من هذا الصنيع تطبيقا عمليا لقول رسول اللهِ ﷺ «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ»[5].

خامسا: القصص

ومما يعيننا على تربية الأولاد على الزهد والقناعة ذكر حال النبي ﷺ فإنه كان قدوة فيهما فلم يَعِبْ طعامًا قَطًّ، إذا أحبه أكله وإذا كرهه تركه، وكان يأكل الخبز بالخلّ، والخبز بالزيت، وكان ﷺ يلبس ما تيسَّر من الثياب، فيرتدي الثوب من الصوف أو الكتَّان، وكان ﷺ لا يرد سائلا ويعطيه ما طلب ولو كان في حاجة إليه، وكان يعطي بعض أكابر العرب كل واحد مائة من الإبل تأليفا لقلوبهم، ولا يدخر لنفسه من ذلك شيئا، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من طعام، وقد كان بإمكانه أن يكون أغنى العرب في زمانه بعد أن فتح الله تعالى عليه.

---

[1]/ الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٤٤).

[2]/ رواه ابن ماجة (رقم:٤١٠٢) مرفوعا بسند ضعيف جدا وروي مرسلا كما في الحلية (٨/٤١).

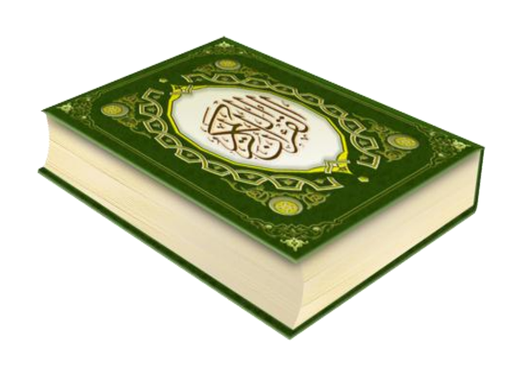
[3]/ رواه الترمذي (رقم:٢٣٢٢) وابن ماجة (رقم:٤١١٢).

[4]/ رواه البخاري (رقم:٢٨٨٧).

[5]/ رواه مسلم (رقم:٢٩٦٣).

ونقص عليهم أيضا شيئا من آثار السلف وأقوالهم المأثورة في هذا الباب، ومن ذلك سير الخلفاء الراشدين الذين أتتهم الدنيا وهي راغمة فأداروا لها ظهورهم ، واكتفوا بالقليل ولم يتوسعوا في ملذات الدنيا مع يسرها بين أيديهم. وقد سأل رجل عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ:" فَأَنْتَ مِنْ الْأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنْ الْمُلُوكِ[١].

ولنعلم أننا إذا ربينا أولادنا على الزهد والقناعة فإنما نُعدّ لهم الطريق إلى الآخرة، يقول ابن القيم رحمه الله : «لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: نظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها؛ فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين، النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بُد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا؛ فهي كما قال الله سبحانه: (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (الأعلى:١٧)» [٢].



١/ رواه مسلم (رقم:٢٩٧٩).

٢/ الفوائد (ص:٩٤).

المبحث الثامن : النظافة

من الأمور المهمة التي ينبغي أن يُربى عليها النشءُ المسلم النظافة والطهارة، وإن ذلك من خصائص الإسلام دين الطهارة الباطنة والظاهرة، وقد قال الله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢) فهو سبحانه يحب المتطهرين الطهارة الباطنة المعنوية من أمراض القلوب، ويحب أيضا المتطهرين الطهارة الظاهرة الحسية من القذارة والنجاسة، وقد أُمر المسلم بطهارة بدنه وثيابه ومحيطه، وهذه الطهارة المأمورُ بها منها ما هو تعبد محض كالوضوء والغسل للصلاة، ومنها ما جُمع فيه بين التنظيف والتعبد كغسل الجمعة وسنن الفطرة، ومنها ما فيه معان صحية وقائية، ومنها ما يتعلق بحق النفس ومنها ما يتعلق بحق الناس أجمعين أو رب العالمين.

وإنه من واجبنا أن نربي أولادنا على الطهارة بجميع أنواعها، وأن نلقّنهم أن المحافظة عليها من الإيمان لقوله ﷺ :« إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ »[١]، وقوله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ »[٢]، وأهم طريق للتربية على هذا الخلق هو التعويد وتكرار التذكير حتى تصبح النظافة عادة للطفل، ولذلك سأقسم هذا المبحث على خلاف ما سبقه بحسب المعاني الثلاثة المذكورة طهارة البدن وطهارة الثوب وطهارة المحيط، للتنصيص على الأمور التي ينبغي أن يعود عليها الطفل، وليس حسب الطرق المستعملة.

أولا : طهارة البدن

أول شيء يعلمه الأولاد في هذا المضمار: الاستنجاء عقب قضاء الحاجة، ولا ينبغي التساهل معهم في هذا، فإن عدم الاستنزاه من البول يعد من الكبائر الموجبة لعذاب القبر كما صح في الحديث، ويتلوه تعليمهم وحثّهم على المحافظة على سنن الفطرة، كتقليم أظافر اليدين والرجلين، وكذا نتف الإبط وحلق العانة بالنسبة للبالغين، فعن أنس ﷺ قال :« وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الْإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[٣]، ومعنى هذا أن النبي ﷺ جعل لهم حدا أقصى، وإلا فالأولى فعل ذلك أسبوعيا، لأن المدة إذا طالت أصبح تلك المواضع من الجسد مجمعا للأوساخ والأقذار، فضلا عن منظرها القبيح.

ولا يختلف في أمر قص الأظفار الفتيات عن الفتيان، ولا خصوصية للبنات فيه فليتنبه إلى هذا، ولا يغتر بالعادات الغربية الدخيلة، ويضاف إلى هذه السنن بالنسبة للفتيان قص شعر الرأس كلما طال، وتعهده بالنظافة والترجيل دون إفراط ولا تفريط.

---

[١]/ رواه مسلم (رقم:٩١).

[٢]/ رواه مسلم (رقم:٢٢٣).

[٣]/ رواه مسلم (رقم:٢٥٨).

ومن مظاهر طهارة البدن التي ينبغي أن يعوّد عليها الأولاد الاغتسال أسبوعيا، ففضلا عن غسل الجنابة والحيض للبالغين، يُعوّد الأولاد على الغسل مرة في الأسبوع وليكن يوم الجمعة، وقد قال النبي ﷺ :« حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ »[١]، وقال ﷺ : «الْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»[٢].

ومن أهم الأمور التي تحفظ صحة العبد اهتمامه بالنظافة قبل الطعام وبعده، وتعويده على ذلك، فقبل البدء بالطعام يتفقد يديه ويغسلهما، فقد تكون في يديه أوساخ تضر به من غبار أو حبر ونحو ذلك، ويداوم على ذلك حتى وإن لم يرى فيها أثرا؛ لأن بعض الأوضار قد لا يظهر أثرها. وأما غسل اليدين بعد الطعام فهو من السنن المستحبة، خاصة إذا أكل شيئا فيه دسم، وقد قال النبي ﷺ : «مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »[٣]. والغمر ريح اللحم وما يعلق باليد من دسمه، "فأصابه شيء" أي من الهوام أو من الجان، بل إن من السنة أيضا أن يمضمض فمه وينقي أسنانه، فقد ثبت أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ كَتِفَ شَاةٍ فَمَضْمَضَ وَغَسَلَ يَدَيْهِ وَصَلَّى[٤]. وفي معنى هذا استعمال الفرشاة أو السواك الذي قال فيه النبي ﷺ :« لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»[٥]، ويعتبر السواك من أهم مظاهر الحفاظ على النظافة المترابطة بالصحة مباشرة، ففضلا عن نظافة الأسنان وصيانتها من التسوس والتساقط فهو يقوي اللثة ويطيب الفم .

ومن الأمور التي لها تعلّق بالنظافة والأدب عموما تجنّب البصاق والتنخم دون سبب، وإذا تنخم الولد في الطريق فعليه أن يجتنب القِبلة، وليكن ذلك تحت قدمه أو من جهة يساره، أو في منديل خاص لئلا يؤذي بها أحدا.

ومثل هذا تحويل الوجه أثناء العطاس عن وجوه الناس، وعن الطعام والشراب لئلا يصيبها رذاذ العطاس، ووضع اليد أو المنديل على الفم، وخفض الصوت بها إذا أمكن. وكل هذا من هدي النبي ﷺ الذي« كَانَ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ وَغَضَّ بِهَا صَوْتَهُ»[٦].

ثانيا : طهارة الثياب

١/ رواه البخاري (رقم:٨٩٨) مسلم (رقم:٨٤٩).

٢/ رواه البخاري (رقم:٨٥٨) مسلم (رقم:٨٤٦).

٣/ رواه أبو داود (رقم:٣٨٥٢) والترمذي (رقم:١٨٦٠) وابن ماجة (رقم:٣٢٩٧) وصححه الألباني.

٤/ رواه ابن ماجة (رقم:٤٩٣) وصححه الألباني.

٥/ رواه البخاري (رقم:٧٢٤٠) ومسلم (رقم:٢٥٢).

٦/ رواه أبو داود (رقم:٥٠٢٩) والترمذي (رقم:٢٧٤٥) وصححه.

أما طهارة الثوب فقد ورد الأمر بها في قوله تعالى:﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر:٥) والأمر للنبي ﷺ هو أمر لأمته، وأمرنا بها أيضا أمرا عاما يشملها مع غيرها في قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (الأعراف:٣١) ففي هذه الآية الكريمة أمر بأخذ الزينة عند الصلاة، وذلك متضمن لستر العورة وما هو أكثر من العورة؛ لأن الرجل إذا اكتفى بستر عورته بالثياب لا يقال إنه تزين، وهو متضمن للأمر بنظافة الثوب الذي نستر به أنفسنا، لأن النظافة تعتبر أساس كل زينة حسنة، ومظهر جميل، وقد ثبت عن النبي ﷺ الحث على مشط الشعر وتنظيف الثياب، فقد روى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ»[١]، وقَالَ رَجُلٌ للنبي ﷺ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً أي فهل هذا من الكبر فقَالَ ﷺ :« إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ »[٢].

والتجمّل مطلوب عموما، ويتأكد في مواطن اجتماع الناس وفي أوقات الجمعة والعيدين، وقد حث النبي ﷺ على جعل ثوب خاص للجمعة غير ثوب المهنة فقال: « مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ »[٣]، ومقصود ذلك هو التزين والتجمل ليوم الجمعة والحث على نظافة الملابس التي تؤم بها المساجد، لأن الثياب التي تلبس للعمل في الزراعة أو التجارة قد لا تكون لائقة لهذا الاجتماع، وتخصيص اللباس لا يختص بصلاة الجمعة بل يعم المناسبات العامة والزيارات كما ذكرناه أعلاه وقد صح عمر رضي الله عنه أنه قال:« يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْتَعْ هَذِهِ تَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ وَالْوُفُودِ »[٤].

ثالثا : طهارة المحيط

من معاني النظافة التي علينا أن نُربي عليها أولادنا الحفاظ على نظافة المحيط، ويدخل فيه نظافة البيوت والحي والمدرسة، والشوارع والأماكن العامة كالحدائق والشواطئ والغابات وغيرها، ولعل أكثرنا لا يغفل عن نظافة البيت، والمعلم أيضا لا يغفل على تربية الولد على المحافظة على نظافة المدرسة ، ولكن أكثرنا يهمل التربية على الحفاظ على نظافة الحي والشوارع والأماكن العامة، ونبينا ﷺ قد جعل تنظيف الطرقات من الإيمان فقال:«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ»[٥]، ومن

---

[١] رواه أبو داود (رقم:٤٠٦٢) وصححه ابن حبان (٥٤٨٣).

[٢] رواه مسلم (رقم:٩١).

[٣] رواه أبو داود (رقم:١٠٧٨) وابن ماجة (رقم:١٠٩٥) وصححه الألباني.

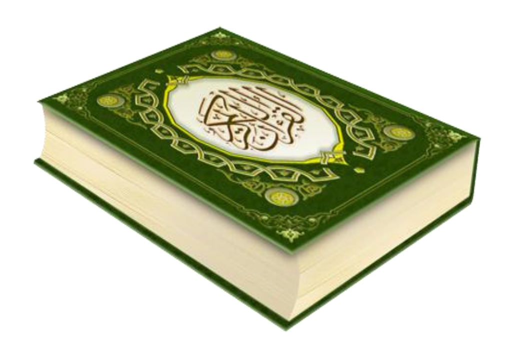
[٤] رواه البخاري (رقم:٩٤٨) ومسلم (رقم:٢٠٦٨).

[٥] رواه مسلم (رقم:٣٥).

الأذى الأوساخُ والفضلات التي تشوه جمال الطريق، والأشواك والأحجار والمسامير التي تؤذي المؤمنين، وأخبرنا ﷺ أن إزالة هذه الأمور المؤذية من طريق المؤمنين يعد من أسباب المغفرة فقال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ »[١].

فعلينا أن نعوِّد الأولاد أن يرموا الأوراق والأغلفة والقارورات في المزابل المخصصة لها، لا في وسط الطريق أو طرفه، ولا في الحدائق أو الشواطئ، فإن لم يجدوا مكانا مخصصا لها؛ فليتركوها في جيوبهم حتى يجدوا المكان المناسب لرميها، وإن مخالفة ذلك إفساد للمحيط وإذاية للناس وخلاف مقتضى الإيمان، وشدة الجرم والإثم تزيد مع شدة القذارة الملقاة، وقد قال النبي ﷺ :« اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»[٢]، المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن الناس، ولا أقذر من قضاء الحاجة في طريق الناس أو أماكن جلوسهم.

ومن معاني الحفاظ على نظافة المحيط النهي عن تلويث موارد الماء، وقد قال ﷺ : « لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ»[٣]، ومثله النهي الوارد عن الانغماس فيها لما يؤدي إلى تلويثها واستقذارها، وكل هذا من محافظة الإسلام على البيئة والنظافة، وصيانة المرافق العامة التي ينتفع بها الناس.



١/ رواه ا

٢/ رواه مسلم (رقم:٢٦٩).

٣/ رواه البخاري (رقم:٢٣٩) ومسلم (رقم:٢٨٢).

المبحث التاسع : آداب الطعام

من مواضيع التربية الأخلاقية مواضيع متعلقة بالآداب، نحو آداب الطعام والكلام والزيارة والتعلم وغير ذلك ، ونحن لن تستقصي هذه المواضيع في سياق الحديث عن التربية كما لم نستقص العقائد من قبل، وإلا خرجنا عن المقصود، وسنتعرض في هذا المبحث إلى أهم آداب الطعام، التي ينبغي تلقينها للطفل، وهي الآداب التي تمس الحاجة إليها أكثر من غيرها.

أولا : غسل اليدين والتسمية في أوله

أول أدب غسل اليدين قبل الطعام وبعده وقد تحدثنا عنه في بحث النظافة قبل هذا، وثاني هذه الآداب تعويد الأولاد على التسمية–قول بسم الله– أول الطعام والشراب، فقد ثبت عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ [1]. ومن نسي التسمية في أول الطعام يعلم الاسراع إلى استدراكها متى ذكرها، وقد جاء في الحديث:« إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»[2].

ومن المفيد جدا بيان حكمة من الابتداء بالتسمية للأولاد، وهي حصول البركة ومنع الشيطان من مشاركتهم في طعامهم، وأن يقص عليهم قصة الجارية التي جاءت كَأَنَّهَا تُدْفَعُ إلى طعام بين يدي رسول الله ﷺ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا »[3].

ثانيا : صفة الجلوس للطعام

ويعلم الأولاد إلى التزام الجلسات الطبيعية للأكل، كالجلوس متربعا أو جاثيا على ركبتين وغيرها من الجلسات، وننهاهم عن الجلسات التي تضر بصحتهم والتي فيها سوء أدب كالأكل متكئا أو مستلقيا، فعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ لَا آكُلُ وَأَنَا مُتَّكِئٌ [4].

---

[1]/ رواه البخاري (رقم:٥٣٧٦) ومسلم (رقم:٢٠٢٢).

[2]/ رواه أبو داود(رقم:٣٧٦٧) والترمذي(رقم:١٨٥٨) وابن ماجة(رقم:٣٢٦٤) .

[3]/ رواه مسلم (رقم:٢٠١٧).

[4]/ رواه البخاري (رقم:٥٣٩٩).

وأقل منه ضررا الشرب والأكل قائما فقد ثبت أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنْ الشُّرْبِ قَائِمًا، فسئل أنس عن الأكل فقال : ذاك شر وأخبث[١]. فلابد للمربي أن يعلم أولاده أن لا أكل إلا على مائدة الطعام ، ولا يؤذن لهم في أخذ لمجات يتجولون فيها في البيت أو يطوفون بها في الشارع فإن ذلك من سوء الأدب، وهذا النهي كله من جهة الأدب والكراهة، وإلا فإنه أمر جائز إذا دعت إليه الحاجة، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه شرب قائما[٢].

ثالثا : النهي عن عيب الطعام

من الآداب تربية الأولاد على أكل الطعام إذا استساغوه وأن يرتكوه من غير له إذا لم يعجبهم، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ[٣]، والعيب قد يكون من جهة الخلقة كأن يكون فاكهة رديئة، وقد يكون من جهة الصنعة كأن يكون طعاما مالحا ، وقيل في حكمة النهي أن فيه أذية لصانع الطعام ومقدمه[٤].

ولابد أن ننبه أمر آخر متعلق بها وهو أن بعض الآباء يدلل أولاده الذين يتحججون لترك ما حضر من طعام بعيبه حتى يتمكنوا مما يشتهونه من طعام، فعلى المربي أن يكون حازما ولا يترك هذا الخلق السيء يتطور، لأنه آثاره ستكون وخيمة على شخصية الولد وسلوكه وصحته أيضا.

رابعا : الأكل والشرب باليد اليمنى

من الأحاديث التي ينبغي أن يحفظها أولادنا ويلزمون بالعمل بها قبل أن يعقلوا قوله ﷺ:« إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» [٥]. وذلك حتى يتعودوا على ذلك، ولا بأن تبين لهم حكمة ذلك التي تتضمن آدبا آخر وهو تخصيص اليد اليسرى لملابسة القاذورات، قال ابن الجوزي :« لما جعلت الشمال للاستنجاء ومباشرة الأنجاس، واليمنى لتناول الغذاء لم يصلح استعمال أحدهما في شغل الأخرى، لأنه حط لرتبة ذي الرتبة ورفع للمحطوط، فمن خالف ما اقتضته الحكمة وافق الشيطان »[٦].

خامسا : اجتناب الطعام الحار

من الآداب النبوية من المتعلقة بالطعام اجتناب الطعام الحار وتركه حتى يبرد ، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا ثَرَدَتْ غَطَّتْهُ شَيْئًا حَتَّى يَذْهَبَ فَوْرُهُ ثُمَّ تَقُولُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ

---

[١]/ رواه مسلم (رقم:٢٠٢٤).

[٢]/ انظر البخاري (رقم:٥٦١٥) ومسلم (رقم:٢٠٢٧).

[٣]/ رواه البخاري (رقم:٥٤٠٩) ومسلم (رقم:٢٠٦٤).

[٤]/ فتح الباري (٩/ ٥٤٥).

[٥]/ رواه مسلم (رقم:٢٠٢٠).

[٦]/ كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/٥٩٥).

إِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْبَرَكَةِ [1]. قال النووي في شرح البركه:" وأصل البركة الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به، والمراد هنا والله أعلم ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى ويقوي على طاعة الله تعالى وغير ذلك [2]. فتضمن معنى البركة أمورا حسية وأخرى معنوية ومن الأمور الحسية السلامة من الأذى وانتفاع الجسم بالطعام على أحسن وجه، وهذا الأذى قد يصيب اللسان في العاجل والأسنان وكذا البطن في الآجل، كما تقديم الطعام الحار للأولاد قد يدفعهم للنفخ فيه بلا شعور وهو منهي عنه أيضا.

سادسا : النهي عن النفخ في الطعام وعن التنفس فيه

وإذا كان الطعام حارا فيوجه الأولاد لتركه حتى يعتدل ويحذرون من النفخ فيه، وقد نهى النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ [3]، وهذا النهي مرتبط بالتنفس في الإناء عموما لما في ذلك من أضرار صحية، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال :« إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ » [4]. مما يحتم علينا إذا شربنا أن نفصل بين الشربات حتى يمكننا التنفس بعيدا عن الإناء، وقد روى أَنَسٍ أن النبي ﷺ كَانَ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا وَيَقُولُ إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ [5].

ونهى النبي ﷺ أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِي السِّقَاءِ [6]، ومثله القارورة ونحوها وذلك عدة حكم منها: أن الشرب منها قد يكون سببا للتنفس فيها، وأنه قد يكون في الماء شيء يلوثه فلا تراه، وكذا قد يرجع شيء من فم الشارب إلى داخلها، كما أن الناظر إليه قد يعاف أن يشرب منها إذا رأى من يضع فمه فيها.

سابعا: الأكل مما يلي الآكل ومن أطراف الصحن

من الآداب الأكل مما يلي الآكل ومن أطراف الصحن، وقد سبق فيه حديث عمر بن أبي سلمة، وذلك إذا كان يأكل مع الناس في صحن واحد حتى يتقذر منه الآكلون، وكذلك إذا كان الآكل في صحنه وحده أن يأكل من جوانبه، قَالَ ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ» [7].

ثامنا : رفع اللقمة عند سقوطها ولعق والصحن واليد

---

[1]/ رواه أحمد (٤٤/ ٥٢١).

[2]/ شرح النووي على مسلم (١٣/ ٢٠٦).

[3]/ رواه أبو داود (رقم:٢٧٣٨) الترمذي (رقم:١٨٨٨) وصححه .

[4]/ رواه البخاري (رقم:١٥٣) ومسلم (رقم:٢٦٧) واللفظ للبخاري.

[5]/ رواه مسلم (رقم:٢٠٢٨).

[6]/ رواه البخاري (رقم:٥٦٢٨).

[7]/ رواه أبو داود (رقم:٣٧٧٢) وابن ماجة (رقم:٣٢٧٧) والترمذي (رقم:١٨٠٥) واللفظ له وصححه.

ومن الآداب المجهولة لدى الكثير رفع اللقمة التي تسقط وتنظيفها ثم أكلها ، قال ﷺ في ذلك :« إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ » [1]. ومثل هذا التصرف يجعلنا نعظم أمر النعمة لدى الأولاد ونجنبهم التبذير ونحثهم على حفظ المال ولو كان يسيرا، وما نراه اليوم من شيوع لرمي الأطعمة في المزابل؛ قد يكون مبدؤه التهاون في الأمر والتسرع لرمي الطعام؛ مع إمكان إزالة الأذى عنه والانتفاع به.

ومما يتعلق بالتبذير والنظافة وكذا البركة ؛ تعويد الأولاد على لعق الصحن بعد الطعام وكذا اليد إن علق بها شيء من الطعام ، قَالَ ﷺ :« إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا » [2]. وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ[3].

تاسعا: الاقتصاد في الطعام

من أهم الآداب التي ينبغي أن يلقنها الأولاد الاقتصاد في الطعام وعدم الإسراف فيه، لقوله تعالى:﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١). وقد قال ﷺ :« مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[4]. وإن لذلك أثرا عظيما على صحته وعلى أخلاقه ودينه، قَالَ عمر ﷺ: « إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ، فَإِنَّهَا مُكْسِلَةٌ عَنْ الصَّلَاةِ مُؤْذِيَةٌ لِلْجِسْمِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ فَإِنَّهُ أَبْعَدُ مِنْ الْأَشَرِ وَأَصَحُّ لِلْبَدَنِ وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ، وَإِنَّ امْرَأً لَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤْثِرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِينِهِ»[5].

وَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ:« الْمَعِدَةُ حَوْضُ الْبَدَنِ، وَالْعُرُوقُ وَارِدَةٌ عَلَيْهَا وَصَادِرَةٌ عَنْهَا فَإِذَا صَحَّتْ صَدَرَتْ الْعُرُوقُ عَنْهَا بِالصِّحَّةِ، وَإِذَا سَقِمَتْ صَدَرَتْ الْعُرُوقُ بِالسَّقَمِ»[6]. وإنما يسقم المعدة كثرة الأكل والإسراع في ابتلاعه قبل مضغه جيدا.

عاشرا: حمد الله تعالى في آخره

من أهم الآداب تعويد الأولاد على حمد الله تعالى بعد كل طعام يطعمونه، ومن الأدعية الثابتة أن يقول :« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ »[7]. وكذلك قوله:«

---

[1]/ رواه مسلم (رقم:٢٠٣٣).

[2]/ رواه البخاري (رقم:٥٤٥٦) ومسلم (رقم:٢٠٣١).

[3]/ رواه مسلم (رقم:٢٠٣٣).

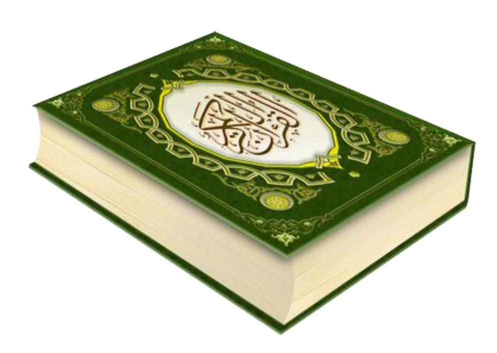
[4]/ رواه الترمذي (رقم:٢٣٨٠) وصححه.

[5]/ الجوع لابن أبي الدنيا (رقم:٨١).

[6]/ الآداب الشرعية لابن مفاح (٣/ ١٩٥) ورواه في شعب الإيمان عن بعض التابعين(٧/٥٢٢).

[7]/ رواه أبو داود(رقم:٤٠٢٣) والترمذي (رقم:٣٤٥٨) وابن ماجة (رقم:٣٢٨٥) وحسنه الألباني.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ وَقَالَ مَرَّةً الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى رَبَّنَا » [1] ، (غير مكفي) معناه: غير محتاج إلى الطعام فيكفى ولكنه هو يطعم ويكفي، (ولا مكفور) بمعنى : مجحود النعمة والفضل، ولا مودع: متروك معرض عنه ولا مستغني معرض عن الرغبة إليه. (ربنا) بالفتح أي يا ربنا[2].



تمت ولله الحمد



مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



---

[1]/ رواه البخاري (رقم:٥٤٥٩).

[2]/ فتح الباري (٩/ ٥٨١).